

ولم تفكر إلا في أن تجيب إلى ما دعيت إليه. ولو كنت مكانك لانصرفت من عند الشيخ إلى أبي لأبشره بهذه الخطبة، ولكنك انصرفت بالبشرى إلى سليم؛ فقد علمت أنك طرقت بابَه عليه حين تقدم الليل. قال الفتى مضطرباً متلعثماً: فإني لم أجرؤ على إزعاجك وقد كاد الليل ينتصف، ولم أجرؤ على أن أبارك بهذا النبأ قبل أن أغدو على عملي. فأما سليم ... قال علي مقاطعاً: فليس بينك وبينه من الكلفة مثل ما بينك وبين أبيك! ثم تشهد علي واستغفر الله ونهض إلى ابنه فضمه إليه وقبل بين عينيه، وقال: قد سامحتك فليسامحك الله، ومتى استطاع الآباء أن يطيّلوا المودة على أبنائهم، أما الأبناء فما أقدرهم على أن يمشوا في القسوة على آبائهم! اذهب يا بني فقد عفوت عنك. ثم بسط يده فتناولها خالد وقبلها صامتاً، وظلّ في مكانه قائماً واجماً لا يقول شيئاً ولا يأتي حركة، فنظر إليه أبوه ثم اندفع في الضحك وهو يقول: ما قيامك أمامي كالصنم لا تقول شيئاً ولا تأتي حراكاً؟ أمغبت أنت بهذه الخطبة؟ أضربت مع الحاج مسعود موعداً للزواج؟ قال خالد: أما أني مغتبط بهذه الخطبة فما أدري ماذا أقول لك، وإنما موقفي منها كموقفي من تلك الخطبة الأولى: أمر الشيخ الكبير فأطعت، ودعا الشيخ الصغير فأجبت، والله يختار لنا ويلهمنا التوفيق فيما نأتي وما ندع؛ وأما موعد الزواج فما ينبغي أن نحدده ولم يحل الحول على موت عبد الرحمن، وما كان ينبغي أن نتحدث فيه وأنت غائب؛ وبعد فإننا لم نحدث أمس أمراً جديداً، ولم نزد على أن ننفيذ وصية من الشيخ الكبير كنت بها عالماً. قال علي وقد أحس في نفسه شيئاً من الندم لغلظته على ابنه، وكثيراً من الرضا عن طاعة ابنه له ووفائه لحميه القديم — قال علي: بارك الله عليك يا بني وألهمك التوفيق، وكتب لك الخير في كل خطوة تخطوها أو عمل تقدم عليه، أقم معي حتى إذا دنا الغروب سعينا إلى الشيخ فشهدنا معه الصلاة.